سورة التوبة

obeikandl.com

﴿ سورة التوبة ﴾

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ ﴾

أى برآءة إلهية أن لا تتعرفوا على مولاكم وخالقكم ولا تشموا ذرة من روائع المعرفة الإلهية، بل تموتوا فى ظلامكم وجهلكم بربكم، وهذا أشد من عذاب جهنم قسوة عليكم.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾

أى دخل فى كنفك لعلو أخلاقك، فاغتنم يامحمد إعلامه بالمعرفة الإلهية لكى تعرض عليه الدخول فيها، فإن الأنبياء هم الذين يعرفوا الخلق على الله وينقلوا المعرفة إليهم، فهذه صفة الذات المظلمة الهاربة إلى الأنبياء لكى تستجير بهم مما حل بها من حجب ظلمانية منعتها من التعرف على ربها، فطلب ههنا الحق سبحانه من الأنبياء أن يعرفوا هذه الذات على ربها التى استجارت بهم لما حل بها من ظلام، فإن التبليغ من شروط النبوة، وقد حذر الحق سبحانه وتعالى العارفين من كتمان المعرفة والعلم، ومن هنا قيل لهذا العارف بلسان الربوبية: وإن أحد من المشركين استجار بك أيها العارف من ظلمات نفسه فأجره من الظلام حتى يسمع أى فيكون سميعاً بصيراً، فتخرجه من عدم سماعه الذى قيل فى حقه: صم بكم عمى فهم لا يرجعون، هناك تستطيع هذه الروح المشركة أن تخرج من جعبة شركها فتسمع وتبصر الحقائق العرفانية، ثم قيل فأبلغه مأمنه: أى أنه متى وصل إلى مقام السمع

والبصر فقد صار فى مأمن من رجوع الظلام إلى ذاته، وقد تم له التمكين بعد التلوين، وقد اكتمل له الرسوخ والشموخ بعد التذبذب والتخبط.

﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

وأئمة الكفر هى العقبات المانعة من وصول السالك إلى حضرة مولاه كالنفس والشيطان والخلق.

فهذه العقبات الكؤود أمام السالك هى أئمة الكفر، فطولب العارف فى حضرة ربه بقتالها فافهم.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

أم حسبتم أن تتركوا بلا اختبارات وابتلاءات وامتحانات، فلابد لكم من الغربلة، لكى يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يلجوا إلى حظوظ أنفسهم وأهوائهم، تاركين الله ورسوله ﷺ والمؤمنين خلف تلك الحظوظ النفسية، بل قدموا مصلحة الله ورسوله ﷺ على كل وليجة وعلى كل حظ وهوى، فلم يعرجوا على شئ إلا حمى الله ورسوله ﷺ.

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن

﴿ يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

إنما يعمر مساجد الله قلوب سماوية، بأبدان أرضية، قد خلت من العلل النفسية، والدسائس الشيطانية لم يبق فى تلك القلوب حظ سوى للواحد الأحد، الذى لم يلد ولم يولد، وقد قيل فيها: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

اعلم أيدنى الله وإياك بروح منه أن الحق سبحانه وتعالى رفع شأن الذين هاجروا فوق أبناء جلدتهم من بقية الصحابة الذين لم يهاجروا، ذلك لكونهم تركوا الكل لأجل رب الكل، فتركوا الأوطان والمال والبلاد وهجروا كل ذلك حباً فيما عند الله، لعل الأرض الجديدة تخلو من هواه، فالمهاجر من هجر هواه، وتخلى عن أوصافه الذميمة والسقيمة وأبدلها بصفات وخصال ربانية قويمة.

فالمهاجر من طار بروحه من أرض خلت منها المعرفة الإلهية إلى أرض بيضاء نقية تحن إلى معرفة الله، هناك يجد هذا الفتى نفسه بين

يدى الله يقول سبحانه عن حقيقة هذا المقام: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾.

ويقول سبحانه عن حقيقة هذا القطب المهاجر: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أى غادر أرض الهوى إلى أرض جديدة لا تعرف اللهو والخنا.

واعلم أنه لا يزال مهاجرون من السادة العارفين فى كل زمان ومكان من أزمنة وأمكنة هذه الأمة المحمدية المجيدة حتى قيام الساعة، التقينا منهم بسيدى محمد أبى بطانية ﷺ بصعيد مصر، هجر أهله وغادر وطنه، وتخلى عن أوصافه الذميمة إلى أوصافه القويمة، ولم يترك من هواه شيئاً لله سوى البطانية، وتجرد من الوجود وأعبائه، فرضى الله عن أمثال هذا القطب المهاجر المجاهد.

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

اعلان الحرب من قبل الله تعالى على كل ما يحبه العارف ويفضله على محبته لله ورسوله، فطالب الحق سبحانه العارفين بأن لا يفضلوا محبة هذه القواطع عليه سبحانه وعلى محبة نبيه ﷺ، أقول: وهذا المشرب مطالب به الخواص فقط، ولا يطالب به العوام، الذين لم يدخلوا فى ميدان المعرفة الإلهية، فإن صفة العارف أنه لابد له أن

يدخل إلى مقام الفناء عن كل ما سوى الله، ومن المعلوم أن السوى هو كل مادون الله عز وجل، فالكون بكل ما فيه هو الحجاب الأكبر، فهذه الآية داعية إلى فناء العارف فى ربه وطرح كل ماعداه.

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

اعلام لهم بترك العجب بالنفس والاعتماد على الذات الفانية، بل الأولى الاعتماد على خالق الأسباب ومصرفها، فقد ينصر بالقليل ويهزم بالكثير، فيلغى أسباب النصر الظاهرة التى تحكمها موازين العقول، ثم أعلمنا الحق أن الصفات الذميمة كالعجب لا تغنى شيئاً فى الانتصار على الأعداء، ولا تهزم النفس، بل من اعتمد عليها فلا يحدث له إلا الضيق والانهزام، ذلك لكونه اعتمد على الصفة المذمومة فيه، وهى خيلاؤه وعجبه.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

وماذا يفعل الفم فى إطفاء النور الإلهى المحمدى ؟

فهؤلاء يريدون إيقاف مضخة النور الإلهى التى تمد الوجود بأسره.

ولم يعلوا أن النور المحمدى هو الذى يمد أنوار المحركات، وهو سر الكهرباء السارى فى الأسلاك واللمبات، ولم يعلموا أن النور المحمدى هو المحرك للصواريخ العابرة للقارات، وهو الذى يحمل

سفن الفضاء إلى أعلى السموات، بل هو ظلام النيران الجهنمية وهو نور الجنان والجنات، وهو مظهر الأسماء الجلالية والجمالية السارية فى الكون والمكونات

أقول: ولذلك أبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وذلك لأنه فى عدم إتمام هذا النور يكون هلاك هذا العالم وانسحاب مادته منه، فإتمام النور المحمدى هو من مصلحة الأعيان.

أقول: وقد ظهرت الاختراعات الحديثة كظهور الكهرباء والطائرات والقطارات والسيارات والكمبيوتر والتليفون إلى آخر ما ظهر من نعم هذه الحقيقة المحمدية، ولم يعلم الكافر أن ما اخترع سوى الفائض من أنوار هذه الذات المحمدية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

هذا هو الرقم الإلهى كونه سبحانه جعل الشهور اثنا عشر شهراً، وهو أى الرقم الإلهى لا يعلل، كما أن الأسماء فى اللغة لا تعلل، فالذى يقول لماذا سمى العنكبوت عنكبوتاً ولماذا سمى الحصان حصاناً ولماذا سمى الرمان رماناً، فإنه لا يستطيع المعلل أن يوجد العلة الحقيقية لهذه الأسماء، وعلى هذا اتفق أهل اللغة.

واعلم أن الأرقام الإلهية كمثل تسبيحنا وتحميدنا وتكبيرنا ثلاثاً وثلاثين مرة خلف كل صلاة، ومثال عدد ركعات كل فرض،

ومثال أعداد الأنكار العامة الواردة فى السنة، فإن كل هذا لا يعلل ولا تعرف له علة حقيقية فافهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

إذا قيل لكم ترقوا إلى العالم الأقدس أجبتم الهبوط إلى ما يثقل روحانيتكم وذاتكم، وإلى هذا أشير بقوله: اثاقلتم إلى الأرض، فاللصوق بالأرض فيه إشارة علوية إلى حب السفليات بدلاً من حب الصعود إلى العالم الأقدس، وتحرر الصاعد من ترابه وثقله وظلمات نفسه فافهم.

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

آنسه الله بالصديق فى خلوته ، وجمعه معه فى جلوته، وهذا لعظم ثقله، وخطر شرفه، ونبل معدنه، فكانا اثنين ثالثهما الرحمن، وفردين لا ثالث لهما بين الأعيان.

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا ﴿٤١﴾ ﴾

أى فلينفر من خفت روحه من كثرة المجاهدات فسمت إلى العالم العلوى، ولينفر من أثقلت روحه بالغنائم الإلهية والمنح القدوسية والأسرار العلوية، وكلاهما أى الخفيف والمثقل فيه نفع للحضرة.

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

هذه صفة الروح المعرضة المغالطة، فإنها فى الحقيقة لا تغالط سوى نفسها، وهى دوماً تغالط الداعى الذى يدعوها إلى بارئها بأنواع الأغلوطات، واسمها عندنا الروح اللئيمة.

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

عتاب لطيف له ﷺ ، وإنما صدر منه ﷺ الإذن العام بالجهاد لحنانه الزائد عليه الصلاة والسلام، وتعشمه فى كل من رآه أن يمسه شئ من الحقيقة المحمدية، فيهتدى ويتعرف على ربه، فطالبه ربه سبحانه بإقامة حقيقة الاختبار، حتى يتبين له الذين صدقوا ويعلم الكاذبين.

﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

أى أن الذين صدقوا فى إيمانهم بالله غير محتاجين إلى إذن بالجهاد، وذلك لتمام إيمانهم، بخلاف المنافقين وأصحاب الأمراض القلبية فإنهم محتاجون إلى الإذن النبوى الصحيح، بالدخول فى حضرة الجهاد، فاعلم أن دخول مثل هؤلاء من أصحاب العاهات والعلل بين الصادقين من الصحابة، قد يسبب دخول الظلام وتأخر النصر لقوله ﷺ: ((**إنما تنصرون بضعفائكم**))، فتواجد مثل هؤلاء من أهل النفاق والرياء والتذبذب فى مواطن الجهاد بين الصادقين بلا إذن صريح يخلط النور بالظلام، والحق سبحانه إنما نظر فى مثل هذا الموطن إلى الصادقين فيباهى بهم الملأ الأعلى فيتم النصر بهذه العصابة الصادقة المستضعفة.

فلا مجال إذن إلى تواجد الظلام مع النور، ولا مجال إلى تواجد النفاق مع الإيمان، ولهذا منع الحق سبحانه الأنبياء من أن يعطوا الإذن الصريح للمنافقين بالجهاد مع المؤمنين، وعاتبهم على ذلك، ولذلك قيل فى حقهم من قبل الحضرة العلوية: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾

﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ ﴿٤٦﴾ ﴾

أى انبعاث الظلام على النور واجتماع النفاق بالإيمان ولذلك قيل:

﴿ فَثَبَّطَهُمۡ ﴿٤٦﴾ ﴾

أى عوقهم ومنعهم من اجتماعهم بالثلة الصادقة من أهل الجهاد، ثم إن تثبيط الحق لهم سبحانه إنما يكون بالطرق الباطنية وذلك لا نحطاط طينتهم ومهانتها عند الله سبحانه وتعالى، فكان المثبط الحقيقى لهم هو الحق سبحانه لا هم أنفسهم.

﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

والخبال هو الجنون والهستريا والصرع، وذلك لنفخ الشيطان فى آذانهم ومناخرهم، و تمكنه منهم ومن جوارحهم، فصارت جوارح شيطانية وذلك لخروجهم عن دائرة سيد الخلق ﷺ ، فالخارج عن دائرته كيف يكون معه ﷺ ؟

ثم إن الاختلاط بأهل العلل الشيطانية ليس فيه سوى التخبط العقلى والروحى، وأصحابه ﷺ الصادقون برآء من ذلك لنقاء ذواتهم وصفاء معدنهم.

واعلم أيدنى الله وإياك بروح من عنده أن الأرواح الخبيثة قد تكون ناقلة للخبث لمن عاشرها ورافقها، ولذلك قال الشاعر.

((إن الطباع تسرق الطباعا))

وهذا الخبال المؤذى للأرواح الطاهرة تحركه أرواح إنسية وجنية خبيثة، والملائكة الذين يقاتلون مع تلك الأرواح الطاهرة تتأذى من تواجد تلك الأرواح الشريرة الخبيثة أثناء القتال، كما تتأذى من رائحة البصل والثوم إذا شمتها من فم الآكل.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

وهذا تطاول لسانى على حضرة النبى الأكرم ﷺ من قبل هؤلاء الخارجين عن دائرة الأدب الربانى، وهم يخاطبونه ﷺ بهذه اللهجة المنكرة من خلف حجاب الظلمات النفسية، الذى منعهم من رؤية حقيقته الأصلية ﷺ، فما رأوا فيه سوى حظوظ أنفسهم وخواطرهم

الشريرة، ولذلك قال أحد العارفين: ان أبا لهب لم ير صورة النبى ﷺ الحقيقية، وإنما رأى فيه صورة يتيم أبى طالب، ولو رآه فى صورته الحقيقية ﷺ لكان من المهتدين المنقادين لدعوته ﷺ.

واعلم أن ظلماتهم النفسية الذاتية سترجعهم إلى ظلمات أمهم الكبرى جهنم، فالنار خير لهم.

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾

وهذه رؤية العارفين فى الكون فى الرضاء بالمقسوم وحب المكتوب فى اللوح، فيرتاحون لما كتبه سيدهم عليهم، ولذلك لما علم السيد خليل الله إبراهيم عليه السلام بما قدر على ابنه وفلذة كبده إسماعيل عليه السلام أمسك بالسكين لينفذ قدر الله فيه، ولم يكن ولده إسماعيل عليه السلام بأقل منه فى مقام الرضا بالمكتوب والمقدر فقال له: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ ﴾.

فرضى الله تعالى عن أمثال هؤلاء السادة الأطهار.

﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾

فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم لكونها من القواطع والحجب المانعة لهم من الوصول إلى حضرة الله ، والقواطع والحجب فى حقيقتها هى العذاب الأكبر ،لكونه لا عذاب أشد على النفس الآدمية من الجهل بخالقها، فإذا جهلت هذه النفس معرفة خالقها فقد سقطت من عين الله، فلا يؤبه لها حينذاك، ولذلك قال المولى سبحانه:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا ﴾.

ولذلك قال أحد العارفين: اللهم ما شئت فعذبنى ولكن لا تعذبنى بذل الحجاب .

لكونه من أشد أنواع الذل على النفس العارفة بربها، أن تعرفه ثم تسلب منها هذه المعرفة، فهو ذل ليس بعده ذل.

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

اعلم أن حقيقة الصدقات هى المنح والتجليات الفائضة من الحضرة الإلهية على تلك الأرواح المذكورة فى الآية، لكن كل على قدره ودرجته فى الغرف من تلك المنح والفيوضات .

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴿٦١﴾ ﴾

هذا اعتراف منهم ــ أى من الكافرين والمنافقين ــ بسرعة كشفه ﷺ واتساع دائرته، ومن ثم فهو إثبات لنبوته على ألسنتهم، فإنهم كانوا يخافون من الخوض والكلام فى حقه ﷺ ويقولون: إن أذنه تسمع ما يدور وما يقال فى البيوت، فأعلمهم الحق سبحانه بأنه ﷺ هو أذن فى نقل المعرفة الإلهية إليهم، وذلك لكونه لا ينتصر ﷺ لنفسه إذا سمع الخوض فى حقه ــ كشفاً ــ لكون الأنبياء لا ينقدون لأنفسهم بل ينتصرون لله عز وجل، ولا يعاتبون من سمعوه بأذنهم الباطنية وهو يخوض فى جنابهم لماذا خاض بل يخاطبون مباشرة بالمعرفة الإلهية الداعية إلى نقل روحه من الظلام إلى النور فافهم.

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

وقد نزلت عليه ﷺ صحيفة من أسماء مكتوب فيها أسماء المنافقين، ولكن منعه حياؤه ﷺ من تلاوتها أمام الخاص والعام، وهو أدب رفيع من آداب النبوة، فى كتم عيوب الناس وعدم فضحهم، وترك الأمر لله عز وجل يفعل فيهم ما يشاء، فربما أُصلِحَ بعضهم، فُينسخُ الأمر بأحسن منه، ويتحول من ذم الله له إلى من سيحمده ربه فيما بعد، وهى من عيون الحكمة الإلهية العالية.

ولذلك كان شيوخنا من العارفين يقولون: إنه من الحماقة أن يمسك الرجل بعصاه ويقول: هذا فى الجنة وهذا فى النار، وهذا صالح وهذا منافق، فإن عواقب الأمور لا يعلمها سوى خالق الناس، ومكره سبحانه وتعالى غير مأمو، وعواقب الأمور بيده، يرفع أقواماً ويخفض آخرين، ومن أجل هذه الحكمة العالية كره ﷺ قراءة أسماء من فى تلك الصحيفة.

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

أى نسوه فى قلوبهم وضمائرهم، فأصبح رضاؤه وسخطه لا يهمهم، وإلا فإنهم يذكرونه بألسنتهم ذكراً عابراً لا روح فيه ولاحياة، ومن هنا عاملهم ربهم بالمثل فنسيهم وأنساهم إحياء موات قلوبهم، فأصبحوا من

جملة الأحياء الموتى، ومن جملة الآدميين الذين غاقتهم البهائم العجماء، فقال عنهم: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ﴿٧٢﴾ ﴾

والذى يهمهم فى كل هذا الشأن هو الرضوان الأكبر من الله عليهم، غيرعابئين بجنات تجرى من تحتها الأنهار، ولا المساكن الطيبة، فرضاؤه عنهم هو غاية الطلب وهو نهاية ما تطلبه الهمم، وإلا فما عبر الله عبثاً بأن الرضوان هو أكبر من كل هذا.

فهمة العارف متعلقة بذلك الرضوان الأكبر، الذى لا يغضب بعدها عليهم المحجوب أبداً، وهم لا يطلبون سوى رضائه وعدم غضبه، وكما قال الشاعر القوم:

(إذا رضى المحجوب صح لك الوصل)

وفى هذا قلت:

سأرضى ثم أرضى ثم أرضى بما كتب المليك من القضاء
فصبرى صبره ورضاه عزى فمتعة سيدى عند الرضاء

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴿٧٣﴾ ﴾

أى قاتلهم بأنوار الألوهية الحارقة، وبرسوخ عقيدة التوحيد، وبثبات القيومية فيك، وبعزة الربوبية المتجلية على هيكلك وذاتك.

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن

﴿ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

ذلك لأنهم سقطوا من عين الله القديمة، منذ ألست بربكم، فلايؤبه لأمثالهم.

واعلم أن صدور سبعين استغفاراً من فم نبى ليس بالأمر الهين، فإن السبعين استغفاراً الصادرة من فمه الشريف ﷺ تغفر لأهل الأرض جميعاً سبعين ألف مرة، وذلك لعظيم طاقة أنواره الشريفة ﷺ.

فإن طينتهم ــ أى المنافقين ــ غير قابلة للإصلاح الإلهى ولهذا كان موطنهم الدرك الأسفل من جهنم كما ذكر ذلك الكتاب.

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

أى أنت أشرف من ذلك ومنزه عن القيام على قبور المنافقين، المخادعين للألوهية، وذلك ورد فى الحديث الشريف الذى رواه البخارى عن أنس ﷺ أن رجلاً كان يكتب الوحى للنبى ﷺ فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين فقال النبى ﷺ: ((**إن الأرض لا تقبله**))، قال أنس: فأخبرنى أبو طلحة أنه أتى الأرض التى مات فيها فوجده منبوذاً.

فقال: ما شأن هذا ؟

فقالوا: دفناه مراراً فلم تقبله الأرض.

فبربك إذا كانت الأرض لا تقبل أمثال هؤلاء المنافقين فكيف تقبلهم الألوهية ؟ وهى التى نبهت نبينا ﷺ أن لا يصلى على أحد منهم مات أبداً ولا يقم على قبره .

وسر ذلك أنه لا إصلاح لفطرة غضبت عليها الربوبية منذ الأزل، فرأتها فطرة ملعونة لآرجاء فى إصلاحها .

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

تحذير لأمته موجه إليه ﷺ من تقليد الكفار والاقتداء بهم، كما هو حادث اليوم من تقليد رجال الأمة ونسائها للأمم الكافرة فى كل الشؤون من لباس وزينة وقضاء وزواج وعادات وأكل وسفور .

وإنما حدث كل هذا من شدة الإعجاب بالأمم الكافرة وتقليدها ولم يتفطنوا إلى قوله سبحانه: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ .

فاختار من شذ من هذه الأمة المحمدية وأحب تقليد الكفار عذاب الله، وصدق الله فيما قال ، فإن تقليد الكفار من الأوربيين ما هو سوى عذاب وخروج عن الفطرة الإلهية، وهو سخط أكبر من قبل الله عز وجل .

فمن قلد هؤلاء الكفار دخل فى تعذيب الروح وإزهاقها، من حلول ظلال المعصية فى ذاته وتخبط روحه فى مهاوى الضلال، وبالتالى لا ينال الروح سوى الانحباس فى ذات مظلمة فيحدث لها الزهوق والانحباس .

واعلم أنه لولا اللطف الإلهى بهذه الأمة المقلدة، ولولا مقام سيدنا محمد ﷺ لنالها الخسف والمسخ والقذف، مما حرفته وبدلته من فطرتها السوية، وخروجها عن النظام الإلهى الذى ارتضاه الحق لها.

وانظر بربك أحوال من حرفوا وبدلوا من الأمم الماضية ما الذى أصابهم من عذاب الله وسخطه ؟.

وقد صنفنا مصنفات جليلة فى الدفاع عن الفطرة المحمدية السليمة فمن ذلك :

كتابنا تحذير المؤمنات من ارتداء البنطلون الضيق فى الطرقات.

وكتابنا تحذير الحرة من بدعة كشف السرة.

وكتابنا بدع الأفلام.

وكتابنا التحذير من الإباحيات المذاعة على قنوات الدش والفضائيات.

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾

وذلك لثقل أرواحهم فى التعرف على الحضرة الإلهية.

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾

اعلم أن هؤلاء ما سبقوا غيرهم إلى حضرة الله إلا بأعمالهم التى قدموها بين يدى الله فما حدث السبق إلا بالأعمال التى بادروا بها وسبقوا بها غيرهم، كأول امرأة آمنت به ﷺ وأول رجل آمن به ﷺ وأول امرأة آمنت به عليه السلام، ومنهم من بادر بتقديم كل ماله بين يديه ﷺ وقال لحضرة النبى الأكرم لما سأله: ماذا تركت لأهلك ؟ فقال تركت لهم الله ورسوله.

ومنهم: من نام فى فراشه وحل محله.

ومنهم: من قيل عنه أنه ثانى اثنين إذ هما فى الغار.

ومنهم: من جهز جيشاً بأكمله.

ومنهم: من بادر باليقين والصدق وقدمهما وخذل الكفار وكذبهم فى مواقف الظنون وقال: والله لو قال أكثر من ذلك لصدقته فإنه يأتيه الخبر من السماء فى أقل من طرفة عين، وهو الصديق ﷺ ـ قال ذلك للكفار ليلة المعراج.

ومنهم من ثبت مع رسول الله ﷺ فى الحروب ورمى نفسه عليه وفداه واكتنفه.

فهؤلاء هم أهل السبق إلى الحضرة، وهم أول من فوق بسهامه إلى حضرة السبق والوصول.

ثم ذكر الحق سبحانه وتعالى نكتة إلهية ونادرة غيبية حيث ألحق بهم الذين اتبعوهم، وأطلق ذلك أطلاقاً زمانياً، فكأن الذين اتبعوهم موجودون فى كل زمان ولا يخلو منهم مكان، ولهم فضل الالتحاق بهم فى فضل اتباعهم والاقتداء بأولئك السابقين الأوائل، فمن قال إن هذا الزمان يخلو من السابقين المهاجرين فقد أعظم على الله الفرية.

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴿١٠٣﴾ ﴾

أى قدموا بين يدى الحضرة الأحمدية ما يطهر أرواحكم وينقيها من ظلام الحجب المانعة من الوصول إلى الحضرة.

واعلم أن هذه الحضرة المحمدية الجامعة كانت عيناً مطهرة لمن دخل فيها وأراد التطهر والتزكية، وذلك لكونها من حضرات التنزيه، فالوجود كله محتاج إلى تلك العين، وهى غير محتاجة إليه فى شئ، ولذلك أخفق من حمل الآية على ظاهرها وظن أنهم ــ أى الصحابة ــ أمروا بتقديم صدقة إليه ﷺ لكونه محتاجاً إليها ، والأمر بخلاف ذلك إذ أنهم أمروا بوضع ذنوبهم وأثقالهم بين يديه ﷺ لكى تقضى حوائجهم وتغفر ذنوبهم.

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾

أى قدم الصلات الباطنية والمنح العرفانية، حتى تسكن جوارحهم وأرواحهم مما حل بها من شواغل وعوالق وحجب، واعلم أن حقيقة هذه الصلاة المحمدية علينا هو ذكره لصلحاء أمته فى الملأ الأعلى وبين يدى ربه بما يوجب الثناء، فترتفع درجات أولئك القوم المذكورين وتترقى أرواحهم وتعرج إلى مقامات عرفانية لم يكونوا حلوا فيها من قبل، وهذا كله ببركة ذكره لأهل المعرفة من أمته بين يدى ربه عز وجل.

واعلم أنه قد يكون للأكابر من أمته انشغال بالمقامات التى تلى مقاماتهم، فلا تهدأ تلك الأرواح ولا تسكن حتى تتوجه إلى الحقيقة المحمدية لكى ترقيها إلى تلك المقامات التى تطمح إليها، فإذا ترقت تلك الأرواح إلى منازل الطموح وتربعت فوقها نالها سكن مما حل بها، **ومانالها ذلك إلا ببركة ترقية الروح المحمدى لها.**

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴿١٠٤﴾ ﴾

منك نيابة عن أمتك، وذلك لعزه قدرك عند ربك، ولعلو جاهك عند خالقك، فبك تغفر الذنوب، وفى حضرتك تمحى الآثام والعيوب.

﴿ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴿١٠٤﴾ ﴾

منك التى قدمها أصحابها بين يديك، لكى تقرع لهم باب العلى الفتاح، بإجابة كل متصدق إلى حاجته وطلبه.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

أى سيقيم أعمالكم الحق عز وجل ورسوله ﷺ فإنه تبلغه أعمال أمته لكونه حيا فيجيز المجاز ويستغفر لمن أساء، وكذلك سيقيم أعمالكم المؤمنون من رجال الغيب من دولة الباطن وهم أهل النوبة.

وهؤلاء الثلاثة لهم الحكم فى وزن حقيقة العمل الصادر من الأعيان المؤمنة وفى نهاية الأمر يكون الحكم لله.

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴿١٠٨﴾ ﴾

لتنزه ذاتك أن توجد فى محل فيه رياء وشرك ونفاق.

واعلم أن ربه عز وجل ما نزهه إلا لعلو قدره عنده، ولسمو نبله فى حضرته، فمنزه نزه منزهاً أن يحل فى مواطن الشرك والنفاق.

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

فيه رجال يحبون أن يتطهروا من الحجب الكونية والكثائف البدنية، فتنطلق أرواحهم لترى فى عالم المشاهدة، وتغدو وتروح فى عالم

الغيب الجميل، فتتعرف على ربها، تاركة العالم الأرضى الكثيف الذى أثقل ظلها وعوق روحها عن السريان .

فمن أجل هذا قيل له: أحق أن تقوم فيه، حتى تلقح أرواح من أراد التطهر من أمتك، فترفع أرواحهم إلى الملأ الأعلى وماذا تصنع بالإقامة فى مسجد فيه ظلام قد قيل لك فيه : لا تقم فيه أبداً، بل إقامتك هاهنا أحق فى هذا المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم، لكونه فيه رجال يحبون أن يتطهروا .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾

اشتراها الحق منذ ألست بربكم فى حضرة عدم الاختيار، فهم أرقاء عنده، لا يخرجون عن حكمه فيهم .

وقد حضرنى مع صاحبنا محمد أبى بطانية ﷺ حكاية جليلة بخصوص هذه الآية الشريفة، فقد رأيت من مجاهدته لنفسه ما أذهلنى بصعيد مصر وتألمت لشده اتعابه لنفسه فسألته ؟

فقال لي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾

ومن اشتراه سيده كيف يخالفه وهو عبده ورقيقه، وكيف يخرج عن طوعه وأمره وحكمه، وكما وصفهم سيدى مصطفى البكرى ﷺ فقال :

عبيد ولكن الملـوك عبيدهـم وعبدهم أضحى له الكون خادما

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾

عتاب لطيف له ﷺ على رقته على من لا يدخل فى مجال الاستغفار

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

اعلم أن هذا الخطاب خاص بالمعرضين المتخلفين عنه ﷺ ، وليس فيه رائحة لأن يوجه إلى الخواص من أمته ﷺ.

ذلك لكون الخواص لا يذكرون بأن كل هذه الأعمال سيكتب لهم بها حسنات، فإن المقربين لا يعرفون لغـة العـدد بيـنهم وبـين ربهـم والإحصاء عليه، ولا يذكرّون من قبل الحضرة المقربة بمثـل هـذه اللغة، بأن يقال لهم: سنكتب فى حسناتكم ظمأكم ونصبكم ومخمصتكم وموطأكم فى سبيل الله ونيلكم من عدوكم، فإن مثل هذا كله لا يكتـب إلا لمن ضعف إيمانه عن التخلف عن الرسول ﷺ وضن بنفسه عليه.

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴿١٢٨﴾ ﴾

وذلك لكون الأمة المحمدية هى نفس واحدة، وهى التى جاءنا منها ﷺ، ولذلك يقول عنا يوم القيامة: ((**نفسى نفسى**)) ، فالنفس واحدة، وما أراد ﷺ حقيقة نفسه وإنما أراد بها حقيقة أنفسنا نحن فافهم .

فالأمة هى نفسه، ولذلك يتأذى ﷺ عندما يحل بأمته أذى من عدوهم ويتأذى ممن أذنب من بعده وهو فى عالم الشهادة والبرزخ، وكذلك يفرح لفرح الأمة، ولذلك قيل لهم: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾

لكونه ﷺ النفس الجامعة فافهم .

﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴿١٢٨﴾ ﴾

أى يعز عليه أن يمسنا العنت وهو النصب والتعب ، وهو مطلق منه الحسى أو الباطنى .